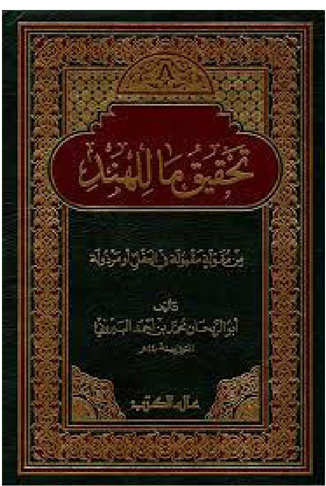
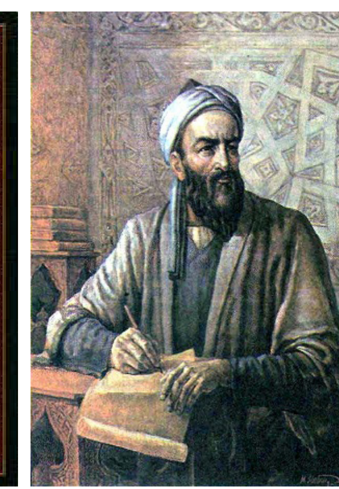




«النار»
في معتقدات الهنود وشرائعهم وأساطيرهم

وفق كتاب البيروني: «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة»

محمد علي حبش

مقدمة

يعدُّ البيروني[1] أحد أبرز علماء الحضارة العربية في الرياضيات والفلك، وفي الفلسفة التي عَدَّها من أهم ظواهر المدنية، وأوْلاها عناية، على الرغم من اهتمامه بالعلم، طالما أن عقليته علِمية وموقعه الحق في تاريخ العلم.

تأثّر البيروني بأبي بكر الرازي ومال لكثير من آرائه الطبيعية المخالفة للمشائية الأرسطية السائدة في الثقافة الإسلامية، والرازي هو الذي دفع البيروني لإيلاء الاهتمام بتاريخ الشعوب وعقائدهم، ولعلّ ذلك انعكس في منهجيته العلمية العقلانية التجريبية..

وفي تأليفه لكتابه الشهير «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة»[2] الذي يحتلُّ موقعاً ومكانة فريدة تجعله بحق مؤسِّس علم الأديان المقارن، إذ تعمَّق البيروني فيه بوصْف الهند، ليس فقط أرضها ومناخها ومعالمها الجغرافية، بل شمل بالدراسة عادات الهنود وأديانهم وشرائعهم وأساطيرهم، ونظام الطبقات الاجتماعية وأزياءهم وأخلاقهم وأنشطتهم الاقتصادية، أنواع الخط وطرق الكتابة والنحو والشعر، الأدب والفنون والحساب والعلوم، ثم علْم الفلَك عند الهنود والزيج والتقاويم والتنجيم.. إلخ..

ألّفه البيروني على فترات متباعدة، على سبيل الحكاية، وفرغ منه سنة 423 للهجرة، وبناه على ثمانين باباً.. ورأى فيه بروكلمان[3] (أهم ما أنتجه علماء الإسلام في ميدان معرفة الأمم). كما وصفه «جورج سارتن»[4] المؤرّخ العلمي الشهير، صاحب كتاب (تاريخ العلم) بأنه من أعظم العلماء في كلّ العصور والأزمان. وقال عنه «ديفيد يوجين سميث» في كتابه تاريخ الرياضيات إنه: « كان ألمع علماء عصره في الرياضيات، وإن الغربيين مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرهم في العلوم». أمّا «كارل بوبر»[5] في كتابه «تاريخ الرياضيات» فقال عنه بأنه: «ليس عالماً في الرياضيات فحسب، بلا هو عالم فيزيائي أيضاً، كما أنه بلا أدنى ريب أول من فكر في علم الجاذبية».

تعامل البيروني مع الأديان المختلفة بشكل حيادي محاولاً فهم أفكار ومنطق كلّ منها بدلاً من محاولة نفي معتقداتها... واعتمد في دراسته للأديان فكرة جوهرية هي أن الثقافات جميعها لا بدّ أن تكون مرتبطة بعضها بالآخر بشكل ما، إذ إنها جميعاً مفاهيم وبنى بشرية.

في هذا البحث نتعرّف على فلسفة النار لدى البيروني وكيفية تناوله للنار في مؤلفه هذا، وموقعها لدى الهنود الذين عاشرهم وعاش معهم لأكثر من أربعين عاماً، وخَبِرَ عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وشرائعهم وأساطيرهم..

الموجودات الكلّية (مهابوت):

البيروني يقسّم الهندوس إلى فئة مثقّفة وأخرى غير مثقفة، إذ يصف الفئة المثقّفة بأنها توحيدية تؤمن بأن الإله هو ربّ واحد خالد مطلق القدرة وتتجنّب جميع أشكال عبادة الرموز الأخرى، أما الفئة الجاهلة من الهندوس فهي التي تقوم بعبادة الرموز الدينية المقدّسة العديدة.

في ذكر اعتقادات أهل الهند في الموجودات العقلية والحسّية، يتحدّث البيروني عن الموجودات الكلّية في العالم، ذاكراً النار ومعانيها لديهم فيقول: «إنّ كلّ مركّب له بسائط، منها يبدو التركيب وإليها يعود التحليل، والموجودات الكلّيّة في العالم هي العناصر، وهم على رأيهم: السماء والريح والنار والماء والأرض وتسمّى «مهابوت» أي كبار الطبائع، ولا يذهبون في النار إلى ما يذهب إليه من الجسم الحارّ اليابس عند تقعير الإيثر[6] وإنّما يعنون بها هذه الموجودة على وجه الأرض من اضطرام الدخان؛ وفي «باج پران»[7] (أي في القديم): «كانت الأرض والماء والريح والسماء، وإنّ براهم[8] رأى شررة تحت الأرض

فأخرجها وجعلها أثلاثاً، فالأوّل «بارتب» وهي النار المعهودة التي تحتاج إلى حطب ويطفئها الماء، والثاني «دبت» وهو الشمس، والثالث «بدد» وهي البرق؛ فالشمس تجذب الماء، والبرق يمضُ من خلال الماء، وفي الحيوان نار في وسط الرطوبات تغتذى بها ولا تطفئها» (ص33).

هذه العناصر الخمسة المركّبة (السماء والريح والنار والماء والأرض) وفق البيروني لها بسائط تتقدّمها تسمّى «بنج ماتر» أي أمّهات خمسة ويصفونها بالمحسوسات الخمسة، إذ يقول: «فبسيط السماء «شبد» وهو المسموع، وبسيط الريح «سپرس» وهو الملموس، وبسيط النار «روپ» وهو المبصر، وبسيط الماء «رس» وهو المذوق، وبسيط الأرض «كند» وهو المشموم، ولكلّ واحد من هذه البسائط ما نُسب إليه وجميع ما نُسب إلى ما فوقه، فللأرض الكيفيّات الخمس، والماء ينقص عنها بالشمّ، والنار تنقص عنها به وبالذوق، والريح بهما وباللون، والسماء بها وباللمس» (ص33).

حاسّة الشم نارية:

ينقل البيروني في كتابه عن «فرفوريوس»[(9)] في مؤلّفه (آراء أفاضل الفلاسفة في طبيعة الفلك) أن البصر مائي والطعم أرضي ووصف حاسّة الشم بأنها نارية، حيث يقول: «إنّ الأجرام السماوية إذا تحرّكت على متقن أشكالها وهيآتها وترنّمها بالأصوات العجيبة على ما قاله «فوثاغورس»[(10)] و«ديوجانس»[(11)] دلّت على منشئها الّذي لا مثل له ولا شكل، وقيل: إنّ ديوجانس للطافة حسّه كان اختصّ باستماع صوت حركة الفلك؛ وهذه كلّها رموز



فرفوريوس (نحو ٢٣٤ - ٣٠٥ ميلادية)

مطّردة بالتأويل على القانون المستقيم، وذكر بعض من تبعهم من القاصرين عن التحقيق: إنّ البصر مائيّ والشمّ ناريّ والطعم أرضيّ واللمس من إفادة الروح كلّ البدن بالاتصال به» (ص33-34).

ويعبّر البيروني عن ظنونه فيما ذكره «فرفوريوس» أن صلة النار بالشم بسبب البحور والدخان، فيقول: «ما أظنّه نَسَبَ البصر إلى الماء إلّا لما سمع من رطوبات العين وطبقاتها، والشمّ إلى النار بسبب البحور والدخان، والطعم إلى الأرض بسبب طعامه الذي تزقّمه؛ وفنيت العناصر الأربعة فعاد في اللمس إلى الروح» (ص33-34).

النفس أبديّة الوجود.. لا نار تحرقها ولا ماء يغصّها ولا ريح تيبّسها

في سبب الفعل وتعلّق النفس بالمادّة، يشير البيروني إلى أنه إذا توسّط الهواء بين النار والماء المتضادّين فيمكنه مخالطتهما، إذ يقول: «الأفعال الإراديّة الموجودة من بدن

الحيوان لا تصدر عنه إلا بعد وجود الحياة فيه ومجاورة الحيّ إيّاه، وقد زعموا أنّ النفس بالفعل جاهلة بذاتها وبما تحتها من المادّة، توّاقة إلى الإحاطة بما لا تعرف! ظانّة أن لا قوام لها إلا بالمادّة فتشتاق إلى الخير الذي هو البقاء وتروم الاطّلاع على ما هو منها مستور فتنبعث للاتحاد بها لكنّ الكثيف واللطيف إذا كانا على أقصى أفق صفتيهما امتنع تقاربهما وامتزاجهما إلا بالوسائط التي تناسبهما كتوسّط الهواء فيما بين النار والماء المتضادّين بكلتي الكيفيّتين فإنّه يناسب كلّ واحد منهما بإحدى الكيفيّتين فيمكّنه بها من مخالطته، ولا تباين أشدّ بعداً ممّا بين الجسم واللاجسم ولذلك لن تبلغ النفس مرامها كما هي إلا بأمثال تلك الوسائط... والأرواح عندهم غير مختلفة في الجوهر مطبوعة على التساوي وإنّما يختلف أخلاقها وآثارها من جهة اختلاف الأجساد التي تقترن بها بسبب القوى الثلاث التي تتغالب فيها وتفاسدها بالحسد والغيظ، فهذا هو السبب الأعلى في الانبعاث للفعل؛

ديوجانس (نحو ٤٢١-٣٢٣ ق.م)



وأمّا السبب الأسفل من جهة المادّة فهو طلبها الكمال وإيثارها الأفضل الذي هو الخروج من القوة إلى الفعل» (ص35-36).

في حالة الأرواح وتردّدها بالتناسخ في العالم، ولمّا كان التناسخ موجوداً في التفكير والمعتقد لدى الهنود، فالأرواح الباقية - وفق البيروني - تتردّد في الأبدان البالية وفق افتنان الأفعال إلى الخير والشرّ ليكون التردّد في الثواب منبّهاً على الخير فتحرص على الاستكثار منه وفي العقاب على الشرّ والمكروه فتبالغ في التباعد عنه ويصير التردّد من الأرذل إلى الأفضل دون عكسه لأنّه يحتمل كليهما ويقتضي اختلاف المراتب فيهما لاختلاف الأفاعيل بتباين الأمزجة ومقادير الازدواجات في الكمّيّة والكيفيّة...

وينقل البيروني من كتبهم شيئاً من صريح كلامهم في تناسخ الأرواح فيقول: «قال «باسديو» لـ «ارجن» يحرّضه على القتال وهما بين الصفّين: إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً فاعلم أنّهم ليسوا ولا نحن معاً بموتى ولا ذاهبين ذهاباً لا رجوع معه فإنّ الأرواح غير مائتة ولا متغيّرة وإنّما تتردّد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثمّ الشيوخة التي عقباها موت البدن ثمّ العود، وقال له: كيف يذكر الموت والقتل من عرف أنّ النفس أبديّة الوجود لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم بل هي ثابتة قائمة لا سيف يقطعها ولا نار تحرقها ولا ماء يغصّها ولا ريح تيبّسها لكنّها تنتقل عن بدنها إذا عتق نحو آخر ليس كذلك كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق فما غمّك لنفس لا تبيد ولو

كانت بائدة فأحرى أن لا تغتمّ لمفقود لا يوجد ولا يعود فإن كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده فكلّ مولود ميّت وكلّ ميّت عائد وليس لك من كلا الأمرين شيء إنّما همّنا إلى اللّه الذي منه جميع الأمور وإليه تصير» (ص39-40).

وفي ذكر المجامع ومواضع الجزاء من الجنّة وجهنّم، يذكر البيروني أولئك الذين يرتكبون الأخطاء فتتناسخ أرواحهم وتتحوّل إلى حيوانات، مثل المدّعي بالكذب والشاهد بالزور والمعاون لهما والمستهزئ بالناس يصيرون إلى «رورو» من الجهنّمات، وسافك الدم بغير حقّ وغاصب حقوق الناس والمغير عليهم وقاتل البقر يصيرون إلى «روده» منها.. ويشير إلى ذلك الذي يرمي الناس بالنار فيقول: «والذي يرمي بيوت الناس بالنار والذي يغدر برفيقه فيقبله طمعاً في ماله يذهبون إلى «رودر»... إلخ (ص46).. إنها تسميات سنسكريتية[12] قديمة تحمل دلالة على تناسخ أرواح أولئك الذين يضمرون الشر ويمارسونه وانتقالها إلى مخلوقات دونية معذّبة..

قرابين النار.. والتقرّب إلى الخالق:

يشير البيروني إلى قرابين النار التي يتقرّب فيها الهنود إلى خالقهم، ففي كيفية الخلاص من الدنيا وصفة الطريق المؤدّي إليه ينقل عن كتاب «كيتا»[13]: «كلّ ما أدام الإنسان التفكّر فيه والتذكّر له فمنطبع فيه حتى إنّه يهدى به من غير قصد ولأنّ وقت الموت هو وقت التذكّر لما يحبّه فإذا فارق الروح البدن اتّحد بذلك الشيء واستحال إليه، وكلّ ما له ذهاب



وعود فالاتّحاد به ليس بالخلاص الخالص»، ويشير إلى دعوة هذا الكتاب لإخلاص النيّة في العمل والتقرّب إلى الخالق عبر قرابين النار واعتزال الناس، فينقل عن «كيتا»: «إنّ من عرف عند موته أنّ اللّه هو كلّ شيء ومنه كلّ شيء فإنّه متخلّص وإن قصرت رتبته عن رتب الصدّيقين... اطلب النجاة من الدنيا بترك التعلّق بجهالاتها وإخلاص النّية في الأعمال وقرابين النار للّه من غير طمع في جزاء ومكافأة واعتزال الناس الّذي حقيقته أن لا تفضل واحداً لصداقة على آخر لعداوة وتخالف الغفلة في النوم وقت انتباههم والانتباه وقت رقادهم فإنّه عزلة عنهم على شهادة معهم، ثم حفظ النفس عن النفس فإنّها العدوّ إذا اشتهت ونعم الولي إذا عفّت» (ص55).

وفي ذكر كتبهم المليّة يذكر البيروني قرابين النار في أكثر من موضع، فكتاب «بيذ» تفسيره العلم لما ليس بمعلوم، وهو كلام نسبوه إلى اللّه تعالى من فم «براهم» ويتلوه «البراهمة» تلاوة من غير أن يفهموا تفسيره ويتعلّمونه كذلك فيما بينهم يأخذه بعضهم من بعض ثمّ لا يتعلّم تفسيره إلّا قليل منهم، وأقلّ من ذلك من

يتصرّف في معانيه وتأويلاته على وجه النظر والجدل؛ ويعلّمونه «كشتر» فيتعلّمه من غير أن يطلق له تعليمه ولو لبرهمن، ثم لا يحلّ لبيش ولا لشودر أن يسمعاه فضلاً عن أن يتلفّظا به ويقرآه وإن صحّ ذلك على أحدهما دفعته البراهمة إلى الوالي فعاقبه بقطع اللسان؛ ويتضمّن (بيذ): «الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب بالتحديد والتعيين والثواب والعقاب، ومعظمه على التسابيح وقرابين النار بأنواعها التي لا تكاد تحصى كثرة وعسرة» (ص88).

كتاب «بيذ» دُرس في جملة ما دُرس من رسوم دينهم ودنياهم في أحد الأزمنة، جدّدها «بياس بن پراشر» وفي «بشن پران»: إنه يتجدّد في أول كلّ زمان من أزمنة «مننتر» صاحب نوبة يملك أولاده كل الأرض ورئيس يرؤس العالم وملائكة يعمل لهم الناس قرابين النار و«بنات نعش» يجدّدون (بيذ) البائد في آخر كل نوبة... (ص89).

فيما يخص البرهمن(14) والمراحل العمرية التي يمرّ بها .. يكرّر البيروني ذكر قرابين النار،



فيقول نقلاً عن «بشن بران» حول البرهمن الذي يدخل سن الخامسة والعشرين وإلى الثامنة والأربعين فعليه أن: «يتزهّد ويجعل الأرض وطاءه ويقبل على تعلّم «بيذ» وتفسيره وعلم الكلام والشريعة من أستاذ يخدمه آناء ليله ونهاره، ويغتسل كلّ يوم ثلاث مرّات ويقيم قربان النار في طرفي النهار، ويسجد لأستاذه بعد القربان، ويصوم يوماً ويفطر يوماً مع الامتناع عن اللحم أصلاً، ويكون مقامه في دار الأستاذ ويخرج منها للسؤال والكدية من خمسة بيوت فقط كلّ يوم مرّة عند الظهيرة أو المساء، فما وجد من صدقة وضعه بين يدي أستاذه ليتخيّر منه ما يريد، ثمّ يأذن له في الباقي، فيتقوّت بما فضل منه، ويحمل إلى النار حطبها من شجرتي «پلاس» و«درب» لعمل القربان، فالنار عندهم معظّمة وبالأنوار مقتربة وكذلك عند سائر الأمم، فقد كانوا يرون تقبّل القربان بنزول النار عليه ولم يثنهم عنها عبادة أصنام أو كواكب أو بقر وحمير أو صور». ويستشهد بشطر شعر لبشار بن برد: والنار معبودة مذ كانت النار.

القسم الثاني من السنة الخامسة والعشرين إلى الخمسين ينقل البيروني عن «بشن پران»: «بدل هذه الخمسين سبعون، وفيه يأذن له الأستاذ في التأهّل، فيتزوّج ويقيم النسل على أن لا يطأ امرأته في الشهر أكثر من مرّة عقب تطهّر المرأة من الحيض، ولا يجوز له أن يتزوّج بامرأة قد جاوز سنّها اثنتي عشرة، ويكون معاشه أمّا من تعليم البراهمة و«كشتر» وما يصل إليه منه فعلى وجه الإكرام لا على وجه الأجرة وإمّا من هديّة تهدى

إليه بسبب ما يعمل لغيره من قرابين النار وإمّا بسؤال من الملوك والكبار من غير إلحاح منه في الطلب أو كراهة من المعطي، فلا يزال يكون في دور هؤلاء برهمن يقيم فيها أمور الدين وأعمال الخير» (ص412-413).

في ذكر القرابين أيضاً يشير البيروني إلى إقامة قرابين النار قرب روث الدواب، ويقدّم لنا معلومة مهمّة عن النار لدى الهنود فهي تتنجّس مثلها مثل الماء.. فيقول: «إنّ أكثر «بيد» مشتمل على قرابين النار وصفة كلّ واحد منها، وتختلف في المقدار حتى لا يقدر على بعضها إلّا كبار الملوك، مثل «اسميت» المعمول بالدابّة المسرّحة في العالم ترتعي من غير مانع والجنود تتبعها وتسوقها وتنادي عليها: إنّها لملك العالم فليبرز إليها من يأبى ذلك، والبراهمة خلفها تقيم قرابين النار عند روثها، فإذا جالت أكناف العالم كانت طعمة للبراهمة ولصاحبها، وتخلف أيضاً في المدّة حتى لا يقدر عليها إلّا من طال عمره وذلك معدوم في هذا الزمان، فلذلك تعطّل كثير منها وبقي القليل للاستعمال، والنار عندهم أكّالة لجميع الأشياء، ولذلك تتنجّس من مداخلة النجاسات إيّاها كالماء، وبسبب ذلك لا يتساهل الهند فيهما إذا كانا عند من ليس منهم لتنجّسهما به، وما أطعمت النار من نصيبها فهو راجع إلى «ديو» لأنّها تخرج من أفواههم، والذي يطعمها البرهمن هو دهن وحبوب مختلفة من حنطة وشعير وأرزّ يلقيها فيها، ويقرأ من بيد ما هو مفروض لذلك إن كان القربان لنفسه، ولا يقرأ شيئاً عليها ان كان لغيره» (ص418).

كما يشير البيروني إلى تقديم قرابين النار في أيام محدّدة، وسمّاها الأيام المعظّمة والأوقات المسعودة والمنحوسة المعينة لاكتساب الثواب، إذ يقول: «الأيّام تتفاضل في التعظيم بسبب صفات تتضاف إليها كالأحد فإنّه عند الهند بسبب الشمس وبسبب ابتداء الأسبوع فيه معظّم كالجمعة في الإسلام، ومن الأيّام المعظّمة «اوماس» و«بورنمة» أعني يوم الاجتماع والاستقبال وسببهما أنّهما غايتان لنور القمر في الفناء والامتلاء، ويعتقدون في هذه الزيادة والنقصان أنّ البراهمة يديمون قرابين النار للثواب، فيجتمع أنصباء الملائكة ممّا تطعم بالإلقاء فيها عند القمر ومن الاجتماع إلى الاستقبال، ثم يؤخذ في تفرقته على الملائكة وتوزيعه من عند الاستقبال حتى أبلغ الاجتماع لم يبق منه بقيّة» (ص451).

الطبقات الأربع وعلاقتها بالنار:

في ذكر الطبقات التي يسمّونها ألواناً وما دونها، ويسمّونها من جهة النسب «جاتك» أي المواليد، وهي أربع طبقات[15]، إذ يقول البيروني: «يلحق كلّ واحد من أهل الطبقات سمات وألقاب بحسب فعله وطريقته كالبرهمن مثلاً فإنّ هذه سمته مطلقة إذا لزم بيته في عمله فإذا لزم خدمة نار واحدة لقّب «آيشتهي» وإذا خدم ثلاثاً من النيران فهو «آكن هو تري» وإذا قرّب للنار مع ذلك فهو «ديكشت»، فكذلك هؤلاء إلّا أنّ «هادي» أحمدهم لأنه يترفّع عن القاذورات ويتلوه دوم لأنه يجنكي ويطرب ومن بعدهما يترشح للقتل والعقوبات صناعة ويتولاها وشرّهم «بدهتو» فإنه لا يقتصر بأكل الميتة المعهودة ولكنه يتجاوزها إلى الكلاب

وأمثال ذلك، وكل طبقة من الأربع فإنها تصطف في المؤاكلة على حدة ولا يشتمل صف على نفرين مختلفي الطبقة» (ص71-72).

هذه حال الطبقات الأربع، وينقل البيروني عن لسان «باسديو» حين سأله «آرجن» في كتاب (مهابهاراتا) الذي يسمّيه البيروني (البرانات) عن طباع الطبقات الأربع وما يجب أن يتخلقوا به من الأخلاق فيقول: «يجب أن يكون «البرهمن» وافر العقل، ساكن القلب، صادق اللهجة، ظاهر الاحتمال، ضابطاً للحواس، مؤثراً للعدل، بادي النظافة، مقبلاً على العبادة، مصروف الهمّة إلى الديانة، وأن يكون «كشتر» مهيباً في القلوب، شجاعاً، متعظّماً، ذلق اللسان، سمح اليد غير مبال بالشدائد حريصاً على تيسير الخطوب، وأن يكون «بيش» مشتغلاً بالفلاحة واقتناء السوائم والتجارة؛ و«شودر» مجتهداً في الخدمة والتملّق، متحبّباً إلى كلّ أحد بها؛ وكل من هؤلاء إذا ثبت على رسمه وعادته نال الخير في إرادته إذا كان غير مقصر في عبادة الله، غير ناس ذكره في



جل أعماله، وإذا انتقل عما إليه إلى ما إلى طبقة أخرى وإن شرفت عليه كان إثما بالتعدي في الأمر» (ص72).

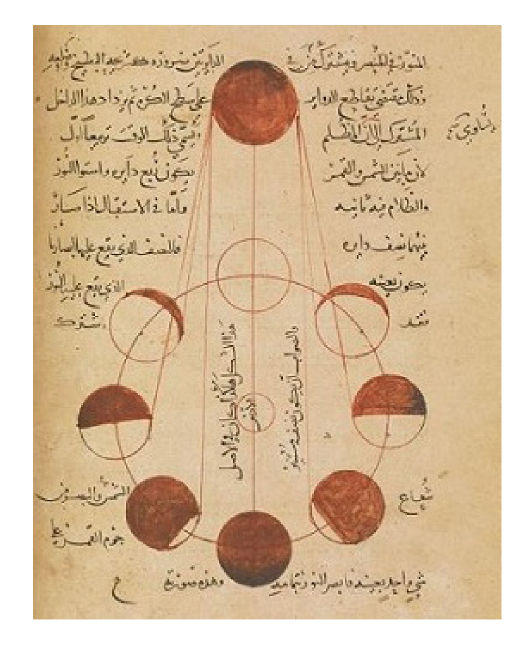
في مبدأ عبادة الأصنام وكيفية المنصوبات، يذكر البيروني كيف صنع الهنود أربعة تماثيل للشمس على أربعة أفراس كان أحمرها للنار.. وأخضرها للأرض.. إذ يذكر أن التصوير لدى الملل في كتبهم وهياكلهم كان السبب الباعث على إيجاد أصنام بأسامي الأشخاص المعظّمة من الأنبياء والعلماء والملائكة.. فيقول: «هكذا وردت الأخبار فيمن تقدّم عهد الطوفان وفيمن تأخّر عنه وحتى قيل أن كون الناس قبل بعثة الرسل أمة واحدة هو على عبادة الأوثان، فأما أهل التوراة فقد عيّنوا أول هذا الزمان بأيام «ساروغ»(16) جد أب إبراهيم، وأمّا الروم فزعموا أنّ «روملس» و«روماناوس» الأخوين من أفرنجة لمّا ملكا بنيا «رومية» ثم قتل روملس أخاه وتواترت الزلازل والحروب بعده حتى تضرّع روملس فأرى في المنام أنّ ذلك لا يهدأ إلّا بأن يجلس أخاه على السرير، فعمل صورة من ذهب وأجلسه معه، وكان يقول أمرنا بكذا، فجرت عادة الملوك بعده بهذه المخاطبة وسكنت الزلازل، فاتخذ عيداً وملعباً يلهي به ذوي الأحقاد من جهة الأخ، ونصب للشمس أربعة تماثيل على أربعة أفراس، أخضرها للأرض، واسمانجونها للماء وأحمرها للنار وأبيضها للهواء، وبقيت إلى الآن قائمة برومية، وإذ نحن في حكاية ما الهند عليه فإنّا نحكي خرافاتهم في هذا الباب بعد أن نخبر أنّ ذلك لعوامّهم فأمّا من أم نهج الخلاص أو طالع طرق الجدل والكلام ورام التحقيق

الذي يسمّونه «سار» فإنّه يتنزّه عن عبادة أحد ممّا دون اللّه تعالى فضلاً عن صورته المعمولة» (ص78-78).

الماء يمسكه النار والنار يمسكها الريح:

في صورة الأرض والسماء على الوجوه الملية التي ترجع إلى الأخبار والروايات السمعية، ينقل البيروني عن «أرسطوطالس» في رسالة له إلى الاسكندر: «إنّ العالم هو نظام الخلق كلّه وأمّا ما علاه وأحاط به من أقطاره فهو محل الآلهة والسماء مليئ من أجسادهم التي نسمّيها للعبارة كواكب... الأرض محصورة بالماء والماء بالهواء والهواء بالنار والنار بالأثير، ولهذا صارت البلدة العليا محلّ الآلهة وقدّرت السفلى محلّ الدوابّ المائيّة»، ويقول البيروني أنه في «باج پران» ما يشبهه وهو: «أنّ الأرض يمسكها الماء والماء يمسكه النار المحض والنار يمسكها الريح والريح يمسكها السماء والسماء يمسكها ربّها، ولم يخالف إلّا في الترتيب» (ص169).

في ذكر الديبات السبعة بالتفصيل من جهة «البرانات» أي كتاب (مهابهاراتا)، يتحدّث البيروني عن جزيرة وسطى وما حول جبل في وسطها وسمّيت «جنب ديب».. وسائر الجزائر المحيطة بها.. وجبال ذوات جواهر وأهل تلك الأرض أخيار معمّرون قد استغنوا بترك التحاسد والتنازع عن سياسة الملوك، وزمانهم كلّه لا يتحوّل، وفيهم الألوان الأربعة أي الطبقات المتمايزة لا يتصاهرون ولا يتخالطون وهم دائما فرحون لا يحزنون؛ وينقل عن «بشن بران»[17]: إنّ الطبقات فيهم يعبدون



«باسديو»[18]؛ ثمّ يشير إلى جزيرة «كش» وفيها على ما في «مج بران»: «جبال سبعة ذوات جواهر وفواكه وأنوار ورياحين وزروع، وأحدها يسمّى «هر» مثل السحاب الأسود وفيه نار تسمّى «مهش» خرجت من الماء وسكنته إلى وقت فناء العالم وهي التي تحرقه، وفيها سبع ممالك وأنهار لا تحصى تسيل الى البحر فيأخذها «اندر» للأمطار ومن عظامها «جون» مطهّر من الآثام، ولم يذكر فيه من أهلها شيء» (ص188).

يقول البيروني إن كتب الهند الملّية والبرانات الخبرية تنطق كلّها في هيئة العالم بما يناي في الحق الواضح عند منجّميهم إلا أن القوم بها مضطرون في إقامة السنن وحمل السواد الأعظم عليها إلى الحسابات النجومية والتحذيرات الأحكامية، فيظهرون الميل إليهم

والقول بفضلهم والتيمّن بلقياهم والقطع عليهم أنهم من أصحاب الجنّة لا يدخل جهنم منهم أحد ومنجّموهم يكافونهم بالتصديق والمطابقة على ما هم عليه وإن خالف أكثره الحق ويقومون لهم بما يحتاج إليه منهم ولهذا امتزج الرأيان على الأيام فاضطرب الكلام الحاصل عند المنجّمين وخاصة عند من يقلّد ويأخذ الأصول بالأخبار ولا يذهب فيها مذهب التحقيق وهو أكثرهم.. (ص197).

السماء والعالم عندهم مستديران والأرض كريّة الشكل، نصفها الشمالي يبس ونصفها الجنوبي مغمور بالماء ومقدارها عندهم أعظم مما هو عند اليونانيين، وينقل البيروني عن الهنود أقاويلهم في أن الأرض لو لم تكن مستديرة لما اختلف النهار والليل في الصيف والشتاء ولا وجد أحوال الكواكب ومداراتها على ما وجدت عليه؛ وأما موضعها فهو الوسط، نصفها طين ونصفها ماء... وينقل البيروني بأن قدماء الهنود (آرجبهد) كانوا يقولون بأن الأرض متحرّكة والسماء ساكنة، وناقش هذا الافتراض في قبالة الافتراضات المتعارف عليها وهو دوران السماء حول الأرض، وذكر بأن الفضلاء من المحدّثين أكثروا الخوض في نفي الافتراض الأول، وقد جاراهم البيروني على ذلك. إذ يقول: «إن السماء كرة لوجودنا خواصها فيها وإن هذه الخواص لا تصح في العالم إلا مع كونه كرة، فلا يخفى حينئذ بطلان سائر الأقاويل فيه»؛ وينقل عن «آرجبهد» الذي يبحث عن العالم ويقول: «إنه الأرض والماء والنار والريح وهي كلّها مدوّرة؛ وكذلك يقول «بسشت» و«لات»: إن العناصر الخمسة التي هي الأرض والماء والنار والريح والسماء مستديرة؛ و«براهمهر» يقول: إن الأشياء الظاهرة المحسوسة تشهد لها بالكريّة وتنفي عنها سائر الأشكال؛ وقد أجمع «آرجبهد» و«بلس» و«بسشت» و«لات» على أنه إذا كان نصف النهار في «زمكوت»(19) كان حينئذ نصف الليل، بالروم وأول النهار في «لنك»، وأول الليل في «سدبور»، وهذا لا يمكن إلا على التدوير، وكذلك أزمان الكسوفات لا تطرد إلا عليه؛ وقال «لات»: كل موضع من الأرض فإنه لا يرى فيه إلا نصف كرة السماء، وبحسب العرض في الشمال يرتفع «ميرو» والقطب على الأفق كما ينخفضان بحسب العرض في الجنوب وفي كليهما ينخفض معدّل النهار عن سمت الرأس بحسب العرض، وكلّ من هو في جهة من جهتي الشمال والجنوب فإنه لا يرى إلا القطب الذي في جهته ويخفى عنه الذي في خلاف جهته» (ص198-199).

في صورة السماء والأرض عند المنجّمين منهم، يذكر البيروني العناصر الطبيعية الأربعة وطبائعها فيقول نقلاً عن «برهمكوبت»: «إن العلماء زعموا أن كرة الأرض في وسط السماء، ومنها جبل «ميرو» مسكن «ديو»، وأسفل منه «بروامخ» مسكن مخالفيهم من «ديت» و«دانب»، ولم يذهبوا من هذا السفل إلّا إلى الرتبة، وإلّا فحال الأرض من جميع جهاتها واحدة وكلّ من عليها فمنتصبون نحو العلو، والأشياء الثقيلة تقع إليها طبعاً كما في طبعها إمساك الأشياء وحفظها وفي طبع الماء السيلان وفي طبع النار الإحراق وفي طبع الريح التحريك، فإنّ رام شيء عن الأرض سفولاً فليسفل فلا

سفل غيرها، والبذور تنزل إليها حيث ما رمي بها ولا تصعد عنها» (ص201-202).

النار خرجت من الماء.. وسكنت الجبال:

في ذكر المدّة والزمان بالإطلاق وخلق العالم وفنائه، يشير البيروني إلى أن النار في المعتقدات الهندية محرقة للعالم خرجت من الماء وسكنت إحدى الجبال، فيقول نقلاً عما ورد في «مج بران»: «إنّ النار المحرقة للعالم خرجت من الماء وسكنت جبل «مهش» في «كش ديب» إلى وقتئذ وسمّيت باسم ذلك الجبل».. وينقل ما ورد في «بشن بران»: «أنّ «مهرلوك» فوق القطب وأنّ مدّة المقام فيه «كلب» لأنّ اللوكات الثلاثة إذا احترقت أذى من فيه الحرّ والدخان فارتفعوا وانتقلوا إلى «جن لوك» وفيه أبناء براهم السابقون للخلق وهم «سنك وسنند وسنندناد واسر وكبل وبود وبنج شك»؛ ومعلوم من ضمن هذه الحكايات أنّ هذا الفناء في آخر كلب، ورأي أبي معشر في الطوفان عند اجتماع الكواكب مقتبس منها لأنّ هذا الشكل لها كائن في آخر كلّ «جترجوك» وفي أوّل كلّ «كلجوك» وإن لم يكن على غاية الكمال فلا جرم أنّ الطوفان لا يكون أيضاً لتمام الإبادة والإهلاك، وكلّما أمعنّا في الأبواب ازدادت هذه المعاني انفتاحاً وهذه الأسامي والألفاظ اتّضاحاً وانشراحاً، وحكى الإيرانشهريّ عن الشمنيّة ما يشابه هذه الخرافات إنّ في جهات جبل «ميرو» أربعة عوالم تتناوبها العمارة والخراب، فخرابه يكون بتسلّط النار عليه عند طلوع شمس بعد شمس إلى تمام سبع ييبس ماء العيون ويتمكّن النار المضطرمة من دخوله، وعمارته بخروجها عنه إلى آخر، وإذا خرجت قوى الريح فيه وحملت السحاب وأمطرته حتى يصير بحراً ويتولّد من زبده صدف يتّصل بها الأرواح ويكون منها الناس عند نضوب الماء، وإنّ منهم من يرى أنّه يقع في ذلك العالم إنسان من العالم الآخر ويستوحش فيه من وحدته ويتكوّن له زوج من فكرته ويبتدئ النسل منهما» (ص246-247).

الشمس نارية الطبع:

في ترتيب الكواكب وأبعادها وأعظامها، يذكر البيروني نقلاً عن «باج بران»: إن الشمس كريّة الشكل نارية الطبع ذات ألف شعاع بها تأخذ الماء فيكون منها للمطر أربع مائة، وللثلج ثلاث مائة، وللجو ثلاث مائة»، كما ينقل عن «باج بران» أيضاً في موضع آخر: «إن بعضها لتعايش «ديو» بالهناءة وبعضها لتعايش الناس بالمرافق وبعضها للآباء»... وقسّمها أيضاً في موضع آخر على أسداس السنة فقال: «إنها تضيء الأرض في الثلث الذي من أول الحوت بثلاث مائة شعاع وتمطر في الثلث الذي يليه بأربع مائة شعاع وتبرد وتثلج في الثلث الباقي بثلاث



مائة»... وفيه أيضاً: «إن شعاع الشمس والريح يرفعان الماء من البحر إلى الشمس، فلو تقطر من عندها لكان حارّاً، ولكنّها تدفعه إلى القمر ليقطر من عنده بارداً فيحيي به العالم».

وهناك حديث عن نار محتاجة إلى حطب تنطفئ بالماء، ونار حيوان غير منطفئة بالماء، إذ ينقل عن «باج بران» القول: «إنّ حرارة الشمس وضياءها ربع حرارة النار وضيائها، وإنّها في الشمال تقع في الماء بالليل ولهذا يحمّر»، وفيه أيضاً: «إنّه كان في القديم الأرض والماء والريح والسماء، فرأى «براهم» تحت الأرض شررة، فأخرجها وجعلها أثلاثاً، فثلث منها هي النار المعهودة المحتاجة إلى الحطب المنطفئة بالماء، وثلث هي الشمس وثلث هي البرق، وفي الحيوان أيضا نار وهذه غير منطفئة بالماء، فإنّ الشمس تجذب الماء والبرق يلمع من خلال المطر والتي في الحيوان هي بين الرطوبات وتغتذى بها، وكأنّهم ذهبوا في هذا إلى اغتذاء الأجرام العلويّة بالبخارات كما حكى «أرسطوطالس» ذلك عن قوم، وذلك أنّ صاحب «بشن دهرم» صرّح بأنّ الشمس تغذّي القمر والكواكب، ولو لم يكن الشمس لما كان كوكب ولا ملك ولا إنس؛ واعتقادهم في أجرام الكواكب كلّها أنّها كريّة الشكل مائيّة السخ غير مستنيرة والشمس من بينها ناريّة السخ مضيئة بالذات منيرة غيرها بالعرض إذا واجهها، وفي جملة الكواكب بالرؤية ما ليس بكواكب بالحقيقة وإنّما هي أنوار قوم مثابين مجالسهم في علو السماء على كراسيّ بلّور» (ص357-358)

في ظهور الكواكب من تحت الشعاع وذكر قوانين قدماء الهنود ورسومهم، يذكر البيروني في كتابه أن «عملهم في رؤية الكواكب والهلال تضمّنه أزياج السندهند عندنا، ويسمّون الدرجات المفروضة لوجوب الرؤية «كالانشك»... أما أحكام «روهني» فقد نقل البيروني عن «براهمهر» قوله فيها أن «كرك» و«بسشت» و«كشب» و«براشر» حدّثوا تلامذتهم أن جبل «ميرو» مبني من صفائح الذهب، وقد نجم من خلالها أشجار كثيرة الزهر والأنوار طيّبة الروائح، يطوف عليها «برمر» دائماً بزمر لذيذ المسمع ويتردّد فيه قحاب «ديو» بأغانيّ مطربة وملاه ملهية وفرح دائم، وهذا الجبل في بريّة «نندن بن» وهو بستان الجنّة، قالوا، وإنّ المشترى كان فيه وقتاً فسأله «نارد» الرش عن أحكام «روهني» حتى بيّنها له، وأنا أحكيها بواجبها، فلينظر في الأيّام السود من شهر «آشار» إلى بلوغ القمر روهني وليطلب في جهة الشمال من البلد أو في مشرقه موضع عال، ويقصده البرهمن الموكّل بدور الملوك، ويوقد فيه ناراً ويصوّر الكواكب والمنازل حولها بألوانها، ويقيم الواجب من قراءة ما لكلّ واحد منها وإعطائه نصيبه من الورد والشعير والدهن وإرضائه بإلقائها في النار، وليكن حولها في الجهات الأربع ما أمكن من الجواهر والجرار المملوءة أعذب المياه وما يكون في ذلك الوقت من الثمار والأدوية وأغصان الأشجار وأصول النبات، ويفرش هناك حشيشاً مجزوراً بالمنجل للمبيت، ثمّ يجمع ألوان البذور والحبوب ويغسلها بالماء ويجعل في وسطها ذهباً ويودعها جرّة، ويضعها ناحية ويعمل «هوم» وهو إلقاء الشعير والدهن في النار مع قراءة مواضع من «بيذ» منسوبة إلى

جهات وهي «بارن منتر» و«بايب منتر» و«سوم منتر»، وينصب «دند» وهو رمح طويل عال... وليعمل جميع ذلك قبل بلوغ القمر «روهني» حتى إذا بلغه كان متفرّغاً لتقدير أزمنة هبوب الريح وجهات مهابّها، وتعرّف ذلك من عذبات الرمح، فإنّ الريح إذا هبّت في ذلك اليوم من قلوب الجهات الأربع حُمد أمرها وإن هبّت ممّا بينها ذمّ، وثباتها على جهة واحدة بقوّة من غير اختلاف محمود أيضاً، وزمان هبوبها يقدّر بأثمان اليوم ويجعل لكلّ ثمن نصف شهر، ثمّ إذا خرج القمر من منزل روهني نظر إلى البذور الموضوعة ناحية، فما نبت منها فهو الذي يزكو في تلك السنة، وينظر في يوم مقاربته روهني، فإن صحت السماء ولم يعترها فساد وصفت الريح فلم تهج قياماً يؤذي وحسنت أصول الوحوش والطيور كان محموداً... إلخ» (385-386).

نار تشرب ماء البحر ونار تحرق جسد الميّت:

في المدّ والجزر المتعاقبين على مياه البحر، يتحدّث البيروني عن نار تشرب ماء البحر، وعن نار غضب الملك «أورب»، فيقول نقلاً عن «مج بران»: «في سبب بقاء ماء البحر على حاله قيل: «إنّ ستّة عشر جبلاً كانت في القديم ذوات أجنحة تطير بها وترتفع فأحرقها شعاع «اندر» الرئيس حتى سقطت حول البحر مقصوصة الأجنحة في كلّ جهة أربعة - فالشرقيّة «رشبه بلاهك، جكر، ميناك» والشماليّة «جندر، كنك، درون، سمّه» والغربيّة «بكر، بدهر، نارذ، برنت» والجنوبيّة «جيمود، دراون، ميناك، بهاشير»، وفيما بين الثالث والرابع من الجبال الشرقيّة نار «سمرتك» التي تشرب ماء البحر، ولولا ذلك لامتلأ بدوام انصباب الأنهار إليه، قالوا وهي نار ملك كان لهم يسمّى «أورب» وهو أنّه ورث المُلك من أبيه وقد قتل وهو جنين، فلمّا ولد وترعرع وسمع خبر أبيه غضب على الملائكة وجرّد سيفه لقتلهم بسبب إهمالهم حفظ العالم مع عبادة الناس إيّاهم وتقرّبهم إليه، فتضرّعوا إليه واستعطفوه حتى أمسك، وقال لهم: فماذا أصنع بنار غضبي؟ فأشاروا عليه بإلقائها في البحر، وهي التي تتشرّب مياهه، وقالوا أيضاً: إنّ ماء الأنهار لا يزيد في البحار من أجل أنّ اندر الرئيس يأخذها بالسحابة ويرسلها أمطاراً»... (ص389).

في حقّ الميّت في جسده والأحياء في أجسادهم، يقول البيروني: «كانت أجساد الموتى فيما مضى من الأزمنة الأولى تدفع إلى السماء بأن تلقى في الصحارى مكشوفة لها ويخرج المرضى إليها وإلى الجبال ويتركون فيها، فإن ماتوا كانوا كما قلنا وإن أبلّوا رجعوا بأنفسهم إلى منازلهم، ثمّ جاء بعد ذلك من تولّى وضع السنن وأمرهم بدفعها إلى الريح، فأقبلوا على بناء بيوت لها مسقّفة بحيطان مشبّكة يهبّ الريح منها عليها على مثال الحال في نواويس المجوس، ومكثوا على ذلك برهة إلى أن رسم لهم «نارين» دفعها إلى النار فمنذ ذلك الوقت يحرقونها فلا يبقى منها شيء من وضر أو عفونة أو رائحة إلّا ويتلاشى بسرعة ولا يكاد يتذكّر» (ص437).

كما ينقل البيروني عن «جالينوس» في تفسيره لعهود «بقراط» أنّ من المشهور من أمر

«اسقليبيوس» أنّه وقع إلى الملائكة في عمود من ناركما يقال في «ديونوسس» و«ايرقلس» وسائر من عنى بنفع الناس واجتهد، ويقال إنّ الله فعل بهم ذلك كيما يفنى منهم الجزء الميّت الأرضيّ بالنار ثمّ يجتذب بعد ذلك جزءهم الذي لا يقبل الموت ويرفع أنفسهم إلى السماء، وهذه إشارة إلى الإحراق وكأنّه لم يكن إلّا للكبار؛ وكذلك يقول الهنود: «إنّ في الإنسان نقطة بها الإنسان إنسان، وهي التي تتخلّص عند انحلال الأمشاج بالإحراق وتبدّدها، ورأوا في هذا الرجوع أنّ بعضه يكون بشعاع الشمس تتعلّق به الروح وتصعد وأنّ بعضه يكون بلهيب النار ورفعها إيّاها كما كان يدعو بعضهم أن يجعل الله طريقه إليه على خطّ مستقيم لأنّه أقرب المسافات ولا يوجد إلى العلو إلّا النار أو الشعاع، وكان الأتراك الغزّيّة ذهبوا إلى ما يشبهه في الغريق فإنّهم يضعون جيفته على سرير في الشطّ ويعلّقون حبلاً من قائمته ويلقون طرفه في الماء ليصعد به روحه للبعث» (ص438).

الهوامش:

1 - **البيروني (362-440 للهجرة = 973-1047 للميلاد) محمّد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي، كان رحّالة وفيلسوفاً وفلكياً وجغرافياً وجيولوجياً ورياضياتياً وصيدلانياً ومؤرّخاً ومترجماً. أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده خوارزم، اطّلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره وصنّف كتباً كثيرة جدّاً، منها: «الآثار الباقية عن القرون الخالية»، و«الاستيعاب في صنعة الإسطرلاب»، و«الجماهر في معرفة الجواهر»، و«تاريخ الأمم الشرقية»، و«القانون المسعودي»، و«تاريخ الهند»، و«تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» و«التفهيم لصناعة التنجيم» وغيرها.**

2 - **أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت الطبعة الثانية، 1403 للهجرة 1982 للميلاد.**

3 - **كارل بروكلمان (1868/9/17-1956/5/6) مستشرق ألماني، درس السريانية، والآرامية الكتابية، وأتقن العبرية درس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية). من أهم مؤلفاته: تاريخ الأدب العربي الذي يعدُّ المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها.**

4 - **جورج ألفريد ليون سارتن (1884-1956)، كيميائي ومؤرّخ أمريكي بلجيكي المولد. يعدُّ مؤسّس تخصّص تاريخ العلوم له إسهامات كثيرة في تاريخ العلوم وأكثر أعماله تأثيراً هو كتاب (تاريخ العلم).**

5 - **كارل بوبر Karl Raimund Popper (1902 - 1994) فيلسوف نمساوي، يعدُّ أحد أهم المؤلفين في فلسفة العلم في القرن العشرين، درس الرياضيات، التاريخ، علم النفس، الفيزياء، الموسيقا، الفلسفة وعلوم التربية أول أعماله نُشر في صورة مختصرة بعنوان «منطق البحث»**

1934 وفي طبعة كاملة عام 1979 بعنوان «المشكلتان الرئيستان في النظرية المعرفية». ألّف كتاب «المجتمع المفتوح وأعدائه» 1945، أهم سمة تميّز أعماله الفلسفية هي البحث عن معيار صادق للعقلانية العلمية.

6 - الإيثر: اسم لنوع من المركّبات العضوية يحوي مجموعة وظيفية إيثرية وهي ذرّة أكسجين متصلة بمجموعتي ألكيل وظيفيتين من أمثلة هذه المركّبات: ثنائي إيثيل الإيثر (يدعى أيضاً إيثوكسي الإيثان).

7 - باج پران: لغة سنسكريتية، تعني «أول القديم» أو «أول القدماء»، وفي كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة)، يقول البيروني: «. وأمّا «الپرانات» وتفسير «پران» الأوّل القديم، فإنّها ثمانية عشر وأكثرها مسمّاة بأسماء حيوانات وأناس وملائكة بسبب اشتمالها على أخبارهم أو بسبب نسبة الكلام فيها أو الجواب عن المسائل إليها، وهي من عمل القوم المسمّين «رشين» والذي كان عندي منها مأخوذاً من الأفواه بالسماع فهي: «آدبران» أي الأوّل، و«مج پران» أي السمكة، و«كورم پران» أي السلحفاة، و«براه پران» أي الخنزير، و«نارسك پران» أي الإنسيّ الذي رأسه رأس أسد، و«بامن پران» أي الرجل المتقلّص الأعضاء بصغرها، و«باج پران» أي الريح، و«نندپران» وهو خادم لمهاديو، و«اسكند پران» وهو ابن «مهاديو»، و«آدت پران» و«سوم پران» وهما النّيران، و«سانب پران» وهو ابن «بشن»، و «برهماند پران» وهو السماوات، و«ماركنديو پران» وهو «رش» كبير، و«تاركش پران» وهو العنقاء، و«بشن پران» وهو «ناراين»، و«براهم پران» وهو الطبيعة الموكّلة بالعالم، و«ببّش پران» وهو ذكر الكائنات في المستأنف؛ وما رأيت منها غير قطع من «مجّ» «وآدت» و«باج» ؛ ثمّ قرئت عليّ من بشن پران على هيئة أخرى فأثبتّها أيضاً كالواجب فيما مرجعه إلى الأخبار وهي: «براهم» «بذم» أي النيلوفر الأحمر «بشن» «شب» وهو «مهاديو» «بهكبت» أي «باسديو» «نارذ» وهو ابن «براهم» «ماركنديو» «آكن» وهو النار «بهبّش» وهو ما سيكون «برهم بيبرت» أي الريح (ص91).

8 - براهما أو براهم هو إله الخلق في الهندوسية، مُوجد الكون وروحه العليا وجوهره يُعرف بـ «الخالق» وهو المعبود الأعلى في الثالوث الهندوسي، الذي يتألّف من «براهما»: (الخالق) و«فشنو»: (الحافظ) و «شيفا»: (المُغني) واعتقد الفلاسفة الهندوس أن براهما هو الحقيقة المطلقة الوحيدة وهو الخالق في معتقدهم، وهو مانح الحياة، وسيد الآلهة، ومصدر جميع الأفعال، ينسبون إليه الشمس التي تقوم بسببها الحياة في النبات والحيوان، ويؤمن الهندوس بأنه خالق الكون وميتافيزيقياً يمكن القول بأن هذا الثالوث يشكّل المبادئ الثلاثة: الخلق، الحفظ، الفناء. ويصوّر براهما في تماثيله وله أربعة وجوه حتى يمكنه النظر في كافة الاتجاهات في آن واحد. وكهنة براهما يقال لهم البراهمة.

9 - فَرفوريوس (نحو 234 - 305 ميلادية)، وهو فيلسوف سوري، من مواليد صور، يُعدُّ أحد أبرز ممثّلي الفلسفة الأفلاطونية المُحدَثة تتلمذ على يد أفلوطين، ووضع ترجمةً لحياته، وهو اسم لامع وغني في عالم العقل والفكر الإنساني، من أشهر آثاره كتابه (إيساغوجي أو الإيزاغوجي)، وتعني المقدمة، وهو مقدّمة لمقولات أرسطو. اسمه يعني المتجلبب بالأرجوان، أصبح الوزير الأول في بلاط

الملكة زنوبيا ملكة تدمر، ترك مكتبة عظيمة تحوي 77 مخطوطاً في مجالات عدّة في المنطق والفلك والرياضيات والميثولوجيا والديانة وتاريخ الفلسفة وتاريخ علم الأخلاقيات وله بحث في هوميروس في إثنين وثلاثين كتاباً.

10 - فيثاغورس الساموسي (570-495 ق.م) هو فيلسوف وعالم رياضيات يوناني، مؤسّس الحركة الفيثاغورية كما يُعرف بمعادلته الشهيرة (نظرية فيثاغورس)، اهتمّ بعدد من الموضوعات العلمية والرياضية والموسيقية، يعتقد فيثاغورس وتلاميذه أن كلّ شيء مرتبط بالرياضيات وبالتالي يمكن التنبّؤ بكلّ شيء وقياسه بشكل حلقات إيقاعية.

11 - ديوجانس (نحو 421-323 ق.م) هو فيلسوف يوناني، أحد مؤسّسي المدرسة الكلبيّة الأوائل. ولدَ في سينوب بتركيا، ودرس في أثينا، قال صاحبُ الملل والنحل: «كان حكيماً فاضلاً متقشّفاً لا يقتني شيئاً ولا يأوى إلى منزل» عاصر الإسكندر المقدوني، استخدم أسلوب حياته البسيط وسلوكه من أجل انتقاد القيم والأعراف الاجتماعية لما يعدّه مجتمعاً فاسداً ومشوّشاً. أعلن نفسه مواطناً معولماً بدلاً من الولاء لمكان واحد فقط، وعدَّ الفقر فضيلة، وكان يتوسّل لكسب الرزق وغالباً ما نام في السوق داخل جرّة خزفية كبيرة. كانت أعماله الفلسفية مثيرة للجدل، ويُحكى أنه كان يحمل مصباحاً خلال ساعات النهار، ويدّعي أنه يبحث عن رجل نزيه. انتقد أفلاطون، واختلف معه في تفسيره لسقراط.

12 - السنسكريتية: هي لغة قديمة طقوسية للهندوسية، والبوذية، والجانية، وهي إحدى الاثنتين وعشرين لغة رسمية للهند. تُدرّس كلغة ثانية. يعدّها بعض البراهميين الوعّاظ لغتهم الأم، كانت هذه اللغة وما زالت في الهند في المعابد، إذ يسمح فقط لكهنة البراهما بقراءة النصوص السنسكريتية، أما في الماضي فتواجدت في الأدب الهندي.

13 - الكيتا: كتاب هندوسي مقدّس، فيه 18 نشيداً يتحدّث عن معنى القتال وواجبات المحارب وأخلاقه وعلاقة المخلوق بالخالق، واتصال العبادة بالمعرفة. وكلمة كيتا تعني نشيد، وقصيدة الكيتا تؤلف ملحمة كبرى تسمّى «مهابهاراتا»، وتصوّر فكرة عظيمة مفادها: اتحاد شبه جزيرة الهند بأكملها اتحاداً في الثقافة، وتحاول التأليف بين كافة مناحي الاعتقاد الديني، وفيها إشارة إلى أن الإنسان الذي يقدّم القرابين إلى الآلهة الرئيسة، لا بدّ أن يقدّمها دون أن ينتظر فائدة منها. فالخلاص لا يهتدي له الإنسان إلا بأن يستكشف نفسه وأن يهتدي إليها، وأن يخصّص خير قواها في سبيل الله، وإذا ما حاز الإنسان سرّ خلاصه يصير في غير حاجة للعبادات والقرابين والطقوس. في الكيتا دعوة للتقرّب إلى الله والإخلاص له، عن طريق المعرفة والعمل المؤدّي إلى الخلاص، والكيتا محبّبة إلى النفس لا لقوة فكرتها وجلال مراميها فحسب؛ بل لتدفق تقاها وحلاوة روحيتها.

14 - في الهندوسية، يشير مصطلح «براهمان» إلى الروح الفائقة العالمية، وهي الأصل وهي التي تؤيد العالم الظاهري وفي بعض الأحيان يُشار إلى براهمان على أنه المطلق أو الإله والذي يعدّ إلهاً. وقد أشار هذا المصطلح في الأصل إلى قوةٍ أو حقيقةٍ خلّاَقة متأصلة في الترانيم

الفيدية، ثم في طقوس تقديم القرابين التي تُنشد فيها تلك الترانيم. وفي الصوفية الهندوسية «براهمان» تعني روح الكون، المتعالية والمحايثة. وبالإمكان إيجاز الصوفية الهندوسية الرهبانية على أنها تحقيق التماهي بين الذات في الإنسان و «أتمان» والإله، براهمن: «هو الكل، وأتمان هو براهمن». لكلمة براهمان معان عديدة، منها «الكلمة المقدّسة» و«العلم المقدّس»، و«الرقية» أو «السحر». يعتقد الهندوس أن الروح أو أرواح الكائنات الحيّة، التي يسمّونها (أتمان)، هي أبدية ويُعاد تجسيدها إلى هيئة جديدة بعد الموت. تهدف الممارسات الدينية الهندوسية إلى بلوغ فهم بأن جميع الأرواح، تنتمي إلى الروح الفائقة العالمية براهمان.

15 - وفق البيروني تتألف هذه الطبقات من: «البراهمة» وخلقوا من رأس براهم وهم نقاوة الجنس لذلك صاروا عندهم خيرة الإنس، والطبقة التي تتلوهم «كشتر» خُلقوا بزعمهم من مناكب براهم ويديه ورتبتهم عن رتبة البراهمة غير متباعدة جدّاً، ودونهم «بيش» خلقوا من رجلي براهم، وهاتان المرتبتان الأخيرتان متقاربتان، وعلى تمايزهم تجمع المدن والقرى، أربعتهم مختلطي المساكن والدور، ثمّ أصحاب المهن دون هؤلاء غير معدودين في طبقة غير الصناعة ويسمّون «أنتز» وهم ثمانية أصناف بالحرف ويتمازجون بما يشابهها من الحرف الأخرى سوى القصّار والإسكاف والحائك فإنّه لا ينحطّ إلى حرفتهم سائرهم وهم القصّار والإسكاف واللعّاب ونسّاج الزنابيل والأترسة والسفّان وصيّاد السمك وقنّاص الوحوش والطيور والحائك فلا يساكنهم الطبقات الأربع في بلدة وإنّما يأوون إلى مساكن تقربها وتكون خارجها، وأمّا «هادي» و«دوم» و«چندال» و«بدهتو» فليسوا معدودين في شيء وإنّما يشتغلون برذالات الأعمال من تنظيف القرى وخدمتها، وكلّهم جنس واحد يميّزون بالعمل كولد الزناء فقد ذكر أنّهم يرجعون إلى أب «شودر» وأمّ «برهمن» خرجوا منهما بالسفاح فهم منفيّون منحطّون.

16 - ساروغ بن رعو أو ساروغ بن أرغو، هو شخصية توراتية مذكورة في العهد القديم في سفر التكوين، وهو والد «ناحورط والد «تارح» وجد إبراهيم. وتذكر بعض المراجع أن ساروغ كان أول من تخلّي عن التوحيد والتحوّل إلى عبادة الأوثان، كما قام بتعليم السحر لابنه ناحور.

17 - وفق البيروني نقلاً عن البرانات من بشن بران: «نارسنكك بران» أي الأنسي الذي رأسه رأس أسد. و «بامن بران» أي الرجل المتقلّص الأعضاء بصغرها. و «باج بران» أي الريح. و «نند بران» هو خادم لمهاديو. و «اسكند بران» هو ابن مهاديو. و «ادت بران» و «سوم بران» وهم النيران. و «سانب بران» هو ابن بشن. و «برهماند بران» هو السماوات. و «ماركنديو بران» هو رش كبير. و «تاركش بران» هو العنقاء. و «بشن بران» هو ناراين. و «براهم بران» هو الطبيعة الموكلة بالعالم. و «ببش بران» هو ذكر الكائنات في المستأنف.

18 - باسديو نارذ: هو ابن براهم ماركنديو آكن وهو النار.

19 - «زمكوت» اسم كبرى مدن جهة الشرق، أما في الجنوب «لنك»، وفي الغرب «رومك»، وفي الشمال «سد بور».